تجربة الخيال العلمي في الرواية الجزائرية المعاصرة
قراءة في رواية "أمين العلواني" لفيصل الأحمر

The experience of science fiction in the contemporary Algerian novel is a reading in the novel "Amin Al -Alwani 'by Faisal Al -Ahmar

طالب الدكتوراه: لبشيري عبد القهار
الأستاذة الدكتورة : صبيرة قاسمي

قسم اللغة والأدب العربي - جامعة أكلي محند أولحاج - البويرة (الجزائر)
مخبر قضايا الأدب المغاربي - جامعة أكلي محند أولحاج البويرة
a.lebchiri@univ-bouira.dz

تاريخ الإيداع: 2022/10/01 تاريخ القبول: 2023/01/07 تاريخ النشر: 2023/03/15

ملخص:

تسعى هاته الورقة البحثية لتتبع مسار تجربة الخيال العلمي في الرواية الجزائرية المعاصرة وتبيان تمظهراته في المتن السردي الروائي من خلال قراءة في رواية "أمين العلواني" لفيصل الأحمر، ومنه استحضار أبعاد التخييل في الرواية ومنطلقاتها التي تحاكي الواقع الموضوعي وترسم عوالم الخيال الجامح وعوالم ما وراء الطبيعة، مع التركيز على بنية الزمن وأبعادها الفلسفية التي طغت على الرواية كتيمة غالبة على المشهد السردي العلواني، والتي بدورها تضفي على النص عوالما من الدهشة والغرابة والغموض لتأسس بذلك لمعالم هذا النوع من أدب الخيال العلمي.

الكلمات المفتاحية: الخيال العلمي؛ التجريب؛ الزمن؛ السرد؛ المستقبل؛ أمين العلواني

Abstract:

This research paper came to follow the course of the science fiction experience in the contemporary Algerian novel and show its manifestations in the narrative narrative text through a reading in the novel "Amin Al -Alwani " by Faisal Al -Ahmar, and from it evoking the dimensions of the imagination in the novel and its premises that simulate the objective reality and draw the worlds of unbridled imagination and the worlds of metaphors , Focusing on the structure of time and its philosophical dimensions, which overwhelmed the novel, a dominant dominance on the Al -Alwani narrative scene, which in turn exists on the text over the amazement, strangeness and

mystery, so that it was established to the features of this type of science fiction literature.

key words: science fiction; Experience; Time; Narration; The Future; Amin Al -Alwani

توطئة:

عُرف على النَّص الأدبيَّ عموماً، والسَردي بوجه خاصّ أنه عالمٌ مليءٌ بالأسرارِ والألغازِ الفنّية التي يحاول القارئ أو الناقد فكّ مغاليقها، أو الوقوف على حافَّة إدراكها وفهمها في محاولة للوقوف أكثر من كُنه العملِ الأدبيّ ومكوّناته، وكلَّما أمعن القارئ أو الناقد النظر في نصٍّ ما، اكتشف أشياء لم ترد في خاطره، وقد لا يتوَّقعها، وبإدراكه لها أو لبعضها يزداد قربًا من عالم النَّصِّ، فيعدِّل من مداركه وطرائقه في التَّناول والتَّناوب والتَّحليل والتَّعليل.

ولما كان النَّصُّ الأدبيُّ، بل النَّص السَّردي صناعةً لغويَّة إبداعيَّة قبل كلِّ شيء، فإنَّ هذه الصِّناعةَ لابدّ أن تنطوي على رسائلَ وأدوات خاصَّة بها تسهم في التَّشكيل والبناء، ولاشك أنَّ النَّصَّ السَّرديَّ يختلف عن بقيَّة النُّصوصِ الأدبيَّةِ بما ينطوي عليه من لعبةٍ فنِّيَّة مركَّزة، وكثافة دلاليَّة مرتفعة.

وحري بنا البحث عن تلك المظاهر التي ثارت على ما هو سائد في الكتابة الروائية والبحث عن مفرزات الحداثة الأدبية وتمظهراتها الجمالية التي واكبت التغيرات والتحولات الفكرية والحضارية على مستوى فعل القراءة الذي أبان عن قدرته على استيعاب كل ما هو مغاير للسائد في عالم يتجدد وفق تسارع وتغير مستمر.

وباعتبار التجريب الروائي انعكاسا لرؤية فنية خاصة، أوجدت أدب الخيال العلمي الذي يختلف حضوره من كاتب لآخر، من هنا كان المتن المدروس في هذه الورقة البحثية يتماشى وسؤال حضور أدب الخيال العلمي في المشهد الروائي الجزائري وتبيانا تجليات صور هذا الحضور التخييلي ومنطلقاته الفلسفية والمعرفية.

حاولنا من خلال ما سبق الإجابة على الإشكالية الرئيسية للبحث والتي تغطي جوانب الموضوع وهي:

- ماهي تجليات وتمظهرات تيمة الخيال العلمي وأبعادها في رواية "أمين العلواني"؟.

و من خلال هاته الإشكالية سنحاول في هاته الورقة البحثية تتبع حضور الخيال العلمي وأبعاده وحدوده وتبيان تقاطعه مع الواقع من خلال التجربة الروائية "أمين العلواني" للروائي فيصل الأحمر.

أولا: في أدب الخيال العلمي

1. مفهوم ونشأة أدب الخيال العلمي:

أطلق النقاد اصطلاح الخيال العلمي على ذلك الفرع من الأدب الروائي الذي يعنى بقدرة استيعاب الإنسان للكم الهائل لمظاهر التطور العلمي والتكنولوجي ومخرجاته على شتى مظاهر الحياة، فهو "الذي يعالج بطريقة خيالية استجابة الإنسان لكل تقدم في العلوم والتكنولوجيا سواء في المستقبل القريب أو البعيد"[1]، كما يجسد تأملاته وتطلعاته لعوالم تروي شغفه المعرفي و التخيلي، هذا التسارع في إنتاج أدب الخيال في صورة الحداثية منذ الرواية القوطية في أواخر القرن الثامن عشر أدى إلى ظهور بعض النظريات النقدية التي تحاول معالجة أدب الخيال ورسم حدوده ومعالمه الإجناسية.

وإذا كانت الثقافة العلمية هي المعرفة التي يحتاجها الإنسان لكي يفهم العالم من حوله..."فهي إذن خليط من الحقائق والمفردات والأفكار والمفاهيم العلمية التي يمكن للإنسان أن يتعامل معها بالطريقة نفسها التي يتعامل بها مع السياسة والاقتصاد والفن والأدب وأي شيء آخر يبلغ علمه أو يصل مسامعه"[2]، أي محاولة نقل القارئ إلى سياق مغاير لسياقه و يستهدف الإبهار والتعجب والدهشة.

ولعل تجربة الخيال العلمي لم تقتصر على فعل المزج بين الأدب والعلم وهو الأمر الذي لا يتوقف عنده أدب الخيال العلمي؛ ولا يشترط على الأدب تقديم حقائق علمية ولا إخضاعها للتشخيص، بل نراه في كثير من الأحيان انطلق من فكرة التنبؤ و الرؤية الاستباقية للمستقبل وفق تصورات جاءت من خلال انعكاس تحولات الواقع على الحياة البشرية والعوالم الأخرى.

يحدّد المؤرخون القرن الثامن عشر ميلادي، تاريخا لبداية ظهور أدب الخيال العلمي، غير أنّه لا يمكن بأي حال من الأحوال، اعتماده تاريخا رسميا لبداية مكتملة، إذ أنّه لا يشذ عن بقية الأنواع الأدبيّة التي كانت بدايتها على غير ما تحولت إليه في مراحل لاحقة، أكثر تخصصا ونضجا.

وإذا تتبعنا المسار التاريخي للإرهاصات الأولى لأدب الخيال العلمي حري بنا أن نذكر مؤسسا هذا النوع **جول فيرن** (Jules Verne)[3] و **هربرت جورج ويلز**(Herbert George Wells)[4]،" ويعتبر **جول فيرن** (Jules Verne) مؤسس الاستباق العلمي، أما الخيال العلمي الحالي بكامله فمبثق من ويلز، والكاتبان متعاصران تقريبا مشبعان فعلا بالفكر العلمي (معرفة وطريقة محاكمة)، وقد عرفا وهما القصصيان والمتنبئان في آن واحد"[5]. فالخيال عندهما هو الذي ينتج صوراً تحترم قوانين الممكن والمحتمل كيفما هي متمثلة في نظرية المحاكاة، ويأخذ

سمت الابتكار والإبداع والجدة في تركيب الصور الواقعية. فكيف حققا التوازن بين الوهم الخيالي والاحتمال العلمي؟.

"لقد أرادا بكتابتهما لقصص مغامرات خارقة أو مروّاة أن يتساءل القرّاء عن مساهمات العلم المستقبلية وانتصاراته، ويمكن للتبصر المرجو أن يبقى على المستوى التقني، أو أن يرقى إلى اعتبارات سياسية واجتماعية وفلسفية"[6]، أي محاولة تفعيل الإدراك الإنساني وجعله علميا في وظيفته وينتج صوراً مبتكرة تواكب التسارع العلمي، من خلال استلهام العلم وجعله مرجعا تبنى عليه سياقات التفكير والفهم.

إن التطور التكنولوجي والمعرفي الحاصل على صعيد كل العلوم والتسارع الذي أصبحت عليه الحياة وانعكاس ذلك على العلوم الإنسانية كان لزاما أن يتفاعل الأدب مع هذا التحول الذي فتح آفقا دفاقة للكتابة الأدبية ثارت على السائد وحاولت محاكاة الاكتشافات العلمية في علم الفضاء وعلم الفلك وغيرها. "لذلك يمكن اقتفاء أصول الجنس الأدبي إلى سيل الكتابة التأملية النظرية التي اعقبت الاكتشافات المثيرة لـ **جاليلو** و **كبلر** والتي وصل الإنسان بها إلى القمر لأول مرة بطريقة علمية"[7]، فكانت الاكتشافات العلمية سابقة تاريخية وحضارية ألهمت المبدعين في صياغة أدب الخيال العلمي جعلت المبدع وجه لوجه أمام قفزات سريعة في تقنيات العلم وفي الأنماط الحياتية المختلفة والتي أسست فكرة أن للبشر قدرات علمية غير محدودة، وقدرة انتهاك البطل في العمل الأدبي لقوانين الطبيعة وبناء عالم يصير فيه الغريب شيئاً طبيعياً.

2. تطور أدب الخيال العلمي:

إن تتبع المسار والتقسيم التاريخي لتطور أدب الخيال العلمي غير مؤسس تاريخيا بالشكل الصارم بالنظر لخصائص هذا الأدب وعدم تداخلها مع الأنواع الأخرى وتطرح اشكالية حدود هذا الأدب مع الأنواع الأخرى وتجاورها قضية جوهرية من شأنها تقريب الرؤية السردية و التحولات التي شهدها أدب الخيال العلمي. إذ "تطرح مقاربة النوع أو الجنس المشكل المزدوج لتاريخ الرواية وللمصطلح الذي يصلح لتعيينها. إن محاولة إقامة رصد للوحدات المفيدة التي تسهم في إنتاج المعنى الروائي، يمازجها في نفس الوقت فعل القراءة المتعددة التي يهيمن عليه النقد النفسي او النقد الاجتماعي، وتقدم اللسانيات المعاصرة وعلى الخصوص التداولية، إسهاما من الطراز الأول لبلاغة القصة وتسمح أخيرا البنيوية والشعرية بدراسة وظيفة السردي بصفة دقيقة سواء تعلق الأمر بالتاريخ أو بالخيال"[8]، ومنه فإن التطور كان على سياق الموضوعات التي تناولها أدب الخيال العلمي والتي تماشت مع جهود الإنسان العلمية والمعرفية على صعيد الاكتشافات والرؤية الاستشرافية المستقبلية للعالم والإنسان.

3. أدب الخيال العلمي في التراث العربي:

نجدُ أنَّ الكتابةَ السَّردية الواقعية قد اجترحت المكتبةَ العربيَّة، وذلك من خلال اجتراحِ الآليَّات والطَّرائق المشتغلة على بناء الحكاية أو على المكوِّنات السَّرديَّة (شخوص، أحداث، مكان، زمان...) والتي عبرت عن واقع الإنسان العربي. ومن المعلوم أنَّ هذا الاجتراحَ يمرُّ عبر اشتراطات اللُّغةِ ومُمليات الكتابةِ، ليتخذَ تمظهرات جماليَّة معيَّنة عبر سُيولةٍ وحُمولةٍ فكريَّةٍ رُؤيويَّةٍ إزاء الواقع المعاش لذلك فمعرفة هذه التِّقنيَّات البنائيَّة تساعدنا على إدخال هذا النوعِ من الكتابةِ إلى غرفةِ العمليَّاتِ التَّحليليَّةِ وفكِّ ألغازها وألغامها، والتَّجاوب مع حُدودِها الفكريَّةِ والرُّؤيويَّةِ والجماليَّة، ومنه "يمكن القول إن الأدب العربي أدب واقعي، حسّي، في تشبيهاته واستعاراته فكلها مستمدة من الواقع...وبخلاف الأدب الرسمي الذي توخّى عالم الواقع، فإن الأدب الشعبي أغرق في الخيال، فعوض بذلك نقص الأدب التقليدي"[9]، أي أنه جاء نتاجا لاستلهام التاريخ والموروثات الشعبية والأساطير، الواقعية المعهودة في أدبنا العربي كانت تكمن في تلك الذات التي تنزع إلى تأطير المألوف والممكن والمحتمل في شكل نص إبداعي يتقبله القارئ.

منذ مدة تكلم المفكر اللبناني 'أمين الريحاني' عن الواقع الفكري والعلمي للمجتمع العربي وهو القول الراجح الذي يلخص مشهد تأخر حضور أدب الخيال العلمي وظهوره المحتشم اذ يقول: "أنا الشرق عندي فلسفات من يبيعني بها طائرات يقصد بذلك أن العرب لا يهتمون بالعلم والأمور العلمية قدر اهتمامهم بالكلام، وأن القوة لدى من بيده العلم... من هنا كانت ضرورة التنبيه المستمر إلى أهمية العلم في حياتنا نظريا وتطبيقيا"[10]، وهي إشارة منه لأهمية الإلتفاف وراء هذا التوجه الأدبي الجديد الذي يتماشى والتطور الحاصل على كل الأصعدة وجعله وسيلة للتنوير وإشاعة الروح العلمية والمصالحة بين الأدب والعلم في المجتمع العربي.

ونحن نعيش عصر ازدهار الرواية كنوع أدبي هو الأكثر شيوعا والأقرب للبوح بما لا يقال في ظل سياسات رقابية قمعية خولت للنظم السياسية التحكم والتسلط في النتاج الأدبي كانت الرواية مدعوة لتحقيق تطورات جديدة، وتحولات غير متوقعة، دون أن ننسى التلاقح الحضاري والفكري مع الآداب العالمية و إسهامات الغرب في ظهور أدب الاستشراف ورواية الخيال العلمي في الأدب العربي.

ولعل قراءة 'سمير الديوب' لمشهد الخيال العلمي كتجربة روائية يعد في مراحله الأولى بغض النظر عن مكنونات هاته النصوص و أبعادها الفكرية والجمالية فيقول: "يعد أدب الخيال العلمي لدى الروائيين العرب أدبا ناشئا، وقد تناول النقاد العرب الرواية من زوايا مختلفة، لكن لم تلتفت أقلامهم كثيرا إلى رواية الخيال العلمي بوصفها تحمل خصوصية الجمع بين

الخطابين العلمي والأدبي، وهما خطابان متضادان، فرواية الخيال العلمي تقدم الفكرة العلمية في طابع خيالي يغدو مقبولا لدى المتلقي"[11]. وهذا القول الذي جسد مستويات الكتابة لدى الروائيين العرب في بدايات ظهور ملامح الخيال العلمي كتيمة للعمل الأدبي، الذي أهمله في بعض الأحيان النقاد العرب وتركيزهم المباشر على ما كان سائدا في عالم الكتابة الروائية على غرار الرواية التاريخية والاجتماعية والسياسية وغيرها.

ثانيا: تمظهرات الخيال العلمي في رواية أمين العلواني:

إن الحديث عن رواية الخَيال العِلمي في البيئة العربية هو "بحث التَكتِيكَات السَّردية فِيها، وما يَجعلُ رِوايةً ما من الخَيال العِلمي دون غيره؛ أي العَمل على كَشف المَنطِق الخاص الذي يَتحكَمُ في مُكَونَات هذا النَوع وهو ما عبَّر عنه محمد العبد في مَقالِه (الخَيَال العِلمِي استراتيجيَّة سرديَّة)"[12] من أنَّ الخيال العلمي يأخُذ النَّص السَّردي معه إلى طَبيعتِه الخاصة، من حَيثُ هو خَيال ومن حيث هو خَيالٌ عِلمِي أي إلى عَوالمٍ تَكتَسبُ فيه مُكونَات القَص مَنطِقًا آخر وأسلُوباً آخر ووظَائِفَ أخرى.

إنّنَا لسنَا في مَقام البَحثِ في خَصائصَ النَّصِّ السَّرديِّ كلّها أو التَّنظير لها، ولا بصدد التقييم بقدر ما نسعى للتتبع حضور رواية الخيال العلمي في الأدب الجزائري وآفاق الكتابة الروائية من خلال تجربة رواية **أمين العلواني** لكاتبها **فيصل الأحمر** و نَسعَى من خِلال هذه الدِّراسة إلى تَسلِيط الضَّوء على تَجدُد الوعي الإبدَاعِي وفِكرة المغَامرة الفنِّيَّةِ والإتيَان بما هو جَدِيد. والثَورَة على ما هو سَائد من أنمَاط الكِتابة الرِّوائية، وهذا ما تَجلَّى في الكَثير من النُصوصِ الرِّوائية الجزائريَّة في جُملَة خصائصهِ الفِكريَّة و الفنِّيَّةِ هنا كانت نَواة فِكرَة التَجرِيب وتَطوَّرت مع كلِّ تجَربَةٍ رِوائِية وتَنَوعَت من كَاتِبٍ إلى آخر، كما تَتجلَّى في مدوَّنات جزائريَّة سرديَّة. "الخيال العلمي هو الوحيد الكفيل بإجابة هذه الأسئلة...أن تكتب رواية من الخيال العلمي –أخيرا- معناه أن تكون من المجانين الذين يتخلصون نهائيا من الجاذبية ومن سلطة أنساق المجتمع العاقل، ومن أنظمة المنطق، وواجبات الاتجاه السياسي..."[13]، فهي إذن فضاء آخر تُمارس فيه الرّواية حركيتها وسيرورتها وصولا إلى تحديث بِنياتها المكونة لها.

تعد رواية أمين العلواني إشراقة شمس الخيال العلمي تصورا للمستقبل واستشرافا زمنيا استباقيا ثار على رتابة الكتابة الروائية السائدة، هذه الرواية المفعمة بالخيال الذي يتجدد وفق الشكل الجديد للحياة ومقتضيات العصر وتبني مقربات وإمكانات جديدة للتعايش مع العوالم الاخرى برؤية فلسفية تأملية. أسلوب ماتع لغة حوارية مع الذات والآخر معبرة توحي بالكثير من الدلالات وتسلب القارئ واقعه ليعيش مغامرة عبر الزمن تتدفق فيها كل الرؤى والتصورات لقراءة المستقبل و تجعل القارئ يتلهف للقادم الغامض.

1. عتبة التجنيس في رواية أمين العلواني بين الرواية والسيرة:

لقد أصبحت هناك أسس نظرية معرفية توجه إنتاج النص الروائي الحديث وتوجه الإهتمام النقدي الحديث إلى الكشف عن الجزئيات والتفاصيل المحيطة بالنص انطلاقا من مجموعة البنى المشكلة له (الشخصية، الزمان، المكان، الأحداث)، ومن خلال قراءتنا للرواية أمين العلواني نلمس تلك العلاقة القائمة بين السارد وشخصياته.

أمين العلواني وكما ورد في متن الرواية "مولود وحي يرزق ... وأحداث حياته أمامك في الكتاب ...مالك الأديب موجود وهو كاتب سيرة أمين العلواني الأديب المشهور ... والدليل على ذلك الكتاب الذي بين يديك ...وأمين العلواني يترجم لحياة كاتب قديم مشكوك في قيمته الأدبية هو فيصل الأحمر... وهذا الشخص أيضا موجود واسمه على غالف هذه الكتابة /الرواية/السيرة/الترجمة/الدراسة/التأريخ وكل الدلائل تدل على أنه موجود ...

الشخصية المحركة للمشهد السردي لم تكن على شاكلة البطل الخارق أو الذي ينتمي إلى عوالم ما وراء الطبيعة، "فيصل الأحمر كتب كتابا عن أمين العلواني مع مطلع القرن الحادي والعشرين أي قبل ميلاده ...أمين العلواني المستقبلي يشبه أمين العلواني الماضوي... وهذا الأمر ليس محيرا على عكس ما يقوله مالك الأديب الذي سيأتي بعد أمين العلواني بنصف قرن تقريبا... والدليل هو ما تقوله ترجمة مالك الأديب عن الشخصين(أمين العلواني /الرواية، وأمين العلواني المؤلف ذائع الصيت)... وفيصل الأحمر موجود في نهاية القرن الحادي والعشرين بفضل كتاب أمين العلواني عنه، وذلك ما يؤكده مالك الأديب (كاتب سيرة العلواني) ومالك

الأديب هو شخصية قديمة لرواية كتبها فيصل الأحمر مع بداية القرن الحادي والعشرين ...إنها أشياء تشبه الخيال العلمي.

... فلنرجئ الكلام عنها إلى نهاية هذا الكتاب الذي كتبه فيصل ...لا الذي كتبه هو مالك الأديب وهو...لا ... أغلب ما في الكتاب أعمال من تأليف أمين العلواني الذي هو بطل ترجمة مالك الأديب التي هي رواية لفيصل الأحمر الذي هو بطل لكتاب أمين العلواني الذي هو بطل لكتاب لمالك الأديب الذي هو بطل رواية فيصل الأحمر كما هو وارد في ترجمة للعلواني كتبها مالك الأديب الذي أوجده أول مرة فيصل الأحمر الذي هو..."[14]،هل فيصل الأحمر يكتب لذاته أو يعبر بلسان حاله عن تصور استباقي لما تؤول إليه حياة فيصل الأحمر أم أن مالك الأديب هو الوسيط الذي يجمع ملامح فيصل الأحمر وأمين العلواني...؟.

هذا ما ورد في فاتحة الكتاب ومن خلاله تظهر تيمة الغموض جلية تحيل القارئ إلى محاولة ربط شخصيات الرواية ومعرفة العلاقة القائمة بينها بغية الوصول إلى الفهم والمقصدية. نجد أيضا في فاتحة الكتاب تساؤلا ماهيته "ماذا عن أمين العلواني؟"[15]

وأن النص تتشارك صفحاته شخصيتا 'أمين العلواني' و'مالك الأديب' وان ما كان يكتبه أمين العلواني هو ترجمة لحياة كاتب قديم هو فيصل الأحمر مما سبق نستخلص بعض الأفكار التي سيكون من الصعب جدا علينا إدراك أنّها لا تنتمي إلى البدايّة ولكنّها تكّشف عن رؤية ونتائج ستحدث مستقبلا، وبالفعل يعاود حضور هذا التداخل مجدّدا في صفحات الرواية.

وما يستوجب منا الوقوف عنده من خلال العتبات المشكلة للمتن تضمين غلاف الرواية مصطلح **سيرة** ولكي نستشف هذا الحضور السيري كان لابد أن نشير إلى إشكالية تحديد هاته الخطابات السير ذاتية وتحديد معالمها وملامحها الفنية والبنائية المشكلة للمتن و التي تميزها عن الرواية في إطارها الإجناسي الذي حدده النقاد على غرار **فيليب لوجون** (Philippe Lejeune)[16]. وهنا تجرد الإشارة إلى الرابط التاريخي الذي يربط الوطن العربي بالغرب وهذا نتاج التأثير والتأثر، رغم الفروق الشّكلية بين البيئتين العربية والغربية، وهي فروق لا تلغي طبيعة التلاقح والتكامل، فكرا وفنا، والمساهمة في تشكل الأنواع الأدبية، ومن هذه الأنواع فن (السّيرة

الذّاتية)، بهذا المفهوم تشكل حصيلة لتجربة الروائي الذاتية وتفاعلها بالواقع الموضوعي، كما أنها ليست مجرد انعكاس للواقع لأنها تؤثر فيه وتتفاعل معه.

وقد عدَ التجنيس وحدة من الوحدات الكبرى للعتبات النصية المصاحبة للغلاف فالمؤشر الجنسي يمثل عتبة ضرورية قبل دخولنا إلى أغوار النص، إذ يساعد القارئ على استحضار أفق التوقع، كما يهيئه لتقبل أفق النص، فرواية الخيال العلمي عند فيصل الأحمر تنطلق من الواقع الموضوعي وصولا إلى الخيال اللامحدود، وهذا ما ذكره فيصل الأحمر في فاتحة كتابه: "أن تكتب رواية خيالية علمية معناه أن تواجه الواقع وألا تهرب منه أبدا...معناه أن تكون حذرا لأن الواقع في خ.ع متحرك دائما، حقيقي، ينبض حياة..."[17]، هنا يشير فيصل الأحمر أن الواقع في رواية الخيال العلمي في حركية دائمة متاخمة للواقع، هذا الواقع يمسك بمرآة الطبيعة ويجسد عالم ما وراء الطبيعة.

وتعدّ قضية الحدود الفاصلة بين السّيرة الذّاتية، والرواية الّتي تتداخل معها أمرا تختلف رؤية النقاد حوله، فمنهم من ذهب إلى ضرورة حضور تلك الفواصل، وعدُّوها إفرازا طبيعيا لطبيعة العصر الّذي أنشأ الجنس الأدبي، ومنهم من قال بضرورة القفز على تلك الفواصل معتمدين في ذلك على مقولة النّص المفتوح.

فهل تصنف رواية أمين العلواني في خانة الرواية أم السيرة الذاتية؟ هذا الحضور الثنائي جسده ما جاء في غلاف الرواية(رواية - سيرة)كعتبة أولية تعطينا انطباعا عاما لمحاولة فيصل الأحمر الجمع بين النوعين في صورة جمالية تلغي الحدود الموجودة بين الجنسين الأدبيين (رواية=الخيال/ سيرة= الواقع) وتعطي أفاقا جديدة لعالم الكتابة والتجربة الروائية.

ما يؤكد فكرة السيرة هو اهتمام العلواني "بتحرير يوميات مفصلة يتعرض فيها إلى أهم ما مر به:

السبت 19 جوان 2031: صمت السنديان

الأحد 20 جوان 2031: صليحة

الاثنين 21 جوان 2031: التاريخ الحديث..."[18] والكثير من الإحالات اليومية الموثقة بتاريخ في صورة مجموعة من المناسبات والأحداث في حياة العلواني، في نفس السياق العلواني يترجم

لحياة كاتب قديم مشكوك في قيمته الأدبية هو فيصل الأحمر... وفيصل الأحمر موجود في نهاية القرن الحادي والعشرين بفضل كتاب أمين العلواني عنه[19]، وهنا تظهر تيمة المفارقة الزمنية بين الإستباق والاسترجاع والربط بين الماضي الواقع والمستقبل المتخيَل تجسدها مجموعة الأحداث المكونة للسيرة الذاتية دون أن ننسى التيمة المشتركة بين ذوات الثالوث(فيصل الأحمر وأمين العلواني ومالك الأديب) الكتابة الأدبية. فرواية أمين العلواني جسدت ما سيكون مستقبلا انطلاقا مما كان من قبل، أي ما سينجز في المستقبل على ضوء الماضي (أمين العلواني الماضوي والآخر المستقبلي).

ومن خلاله سعى فيصل الأحمر لتوسيع نطاق الرؤية لكونه إحدى شخصيات الرواية المحركة للمشهد السردي من خلال سفره بين المستقبل والماضي والتنبؤ بالكثير من الأحداث كإسقاطات عن واقعنا الذي يسعى العلواني لتغييره وهنا تظهر اللمسة الجمالية لاستحضار التعالق بين الخيال والعلم والرؤية.

البطل أمين العلواني يتكافأ مع البشر العاديين في النوع والقدرة ، ويخضع خضوعاً تاماً لقوانين الطبيعة. وفي هذا المقام تبرز الرواية الواقعية الحديثة التي تجسد الإنسان ككائن اجتماعي في تفاعله مع الواقع المحيط. فبطل هذه الصيغة هو الإنسان العادي الذي يمثل بالنسبة لقارئ النص مرآة تعكس الأنماط المختلفة للتفاعل الواقعي مع المحيط المعيش.

وتُعتبر نظرية النقد الأدبي **لنورثراب فراي** (Northrop Frye)[20] ناجحة إلى حد كبير في مقاربة رواية الخيال الحديثة؛ لأن معظم أجناس رواية الخيال يمكن أن تندرج تحت صيغة ما أو أخرى من الصيغ التي وضعها. فمبدأ (انتهاك قوانين الطبيعة) يعتبر مبدأً حاكماً في مخطط فراي، ووفقه تتراوح الرواية بين التخييل المفارق للواقع في السرد القديم، ثم الرواية الواقعية في العصر الحديث، وصولاً إلى التخييل المفارق للواقع مرة أخرى في رواية الخيال الحديثة، كأن الأدب يسير في قالب دائري كما يقول **والاس مارتن**(Wallace Martin): " لعل المجتمع والأدب يتغيران وفق قالب دائري لا خطي، وإذا كان الأمر كذلك فقد تدل النزعات الخيالية في التخييل الحديث جداً على عودة (مع اختلاف) إلى الأسطورة "[21]. أي أن السرد الحقيقي الذي يمثله

التاريخ، والسرد الخيالي أو الزائف الذي يمثله كل السرد القصصي الذي تم إنتاجه في مرحلة ما قبل ظهور الرواية الحديثة.

ويبدو من خلال رواية أمين العلواني أن تيمة الزمن التيمة الأساسية المحركة للسرد من خلال مجموعة الرؤى الاستباقية لزمن القصة أو الحكاية وهو الزمن الخاص بالعالم التخييلي، يقول فيصل الأحمر: "... لأن ما يتخيله الواحد منا حول شكل المستقبل غالبا ما يأتي المستقبل ليظهر سخافته وضعف مخيلة صاحبه"[22]، وهنا تجدر الإشارة لزمن الكتابة وهو المرتبط بعملية التلفظ أي زمن السرد، والمفارقة هاهنا في زمن القراءة أي الزمن الضروري لقراءة النص، أي هل نقرأ النص بمقتضيات وخصوصية زمن فيصل الأحمر أو بزمن أمين العلواني؟ "فيصل الأحمر كتب كتابا عن أمين العلواني مع مطلع القرن الحادي والعشرين أي قبل ميلاده...أمين العلواني المستقبلي يشبه أمين العلواني الماضوي"[23]... ونستشف من خلال هاته المفارقة الجمالية التي تميز الخطاب السردي عند فيصل الأحمر سهولة مطلقة في الربط بين شخصيات تمثل ثلاث أزمنة تجسد الماضي والحاضر والمستقبل، وهي استراتيجية وتكتيك سردي حاول من خلاله الكاتب أن يكسر أفق التوقع لدى القارئ، ويجعله يبحث في كل شخصية وتمظهراتها وحدودها للوصول إلى بطل الرواية أمين العلواني الماضوي والمستقبلي.

2. الزمن التاريخي والسرد المتقدم في رواية أمين العلواني:

يُظهر الزمن في رواية "أمين العلواني" علاقة التخييل بالواقع، فالحكاية يمكن أن تكون في زمن الكاتب أو تكون أقدم بقليل أو كثير، كما يمكن أن تكون في زمن مستقبلي مثل روايات الخيال العلمي ،"إن الأزمنة الخارجية تحيل على إشكالية التلقي، وتكتشف لماذا هناك أعمال مستحسنة في مرحلة ما وهناك أخرى مرفوضة، وتكشف أيضا عن طبائع المتلقين وطرق تمثلهم للأعمال واهتمامهم بنوع معين على حساب آخر"[24]، من خلال كل هذا نستشف العلاقة بين المتلقي وتيمة الخيال العلمي، ونحن نركز على دور القارئ في تلقيه لهذا الجنس والإلمام بحدوده العلمية والأدبية وحتى الفلسفية عن طريق التمثل العقلاني واللاعقلاني له.

هذا النمط من السرد يجعل من المتن الروائي مجموعة أخبار وتنبؤات تفيد الوقوع في المستقبل، وهنا يتم الجز بالرواية في عوالم المستقبل الغيبي الذي يعززه السرد الاستباقي الباعث للدهشة التي تشد القارئ وتجعله يواكب سيرورة السرد.

لذا يمكننا أن نقول أن مسألة الزمن في رواية "أمين العلواني" مرتبطة بالرواية وبشخصياتها في ثلاث مراحل:

- بما قبل النص الروائي: المؤلف/ومحيطه/ماضيه. (مالك الأديب/ فيصل الأحمر/ أمين العلواني الماضوي).
- بالنص الروائي: بتلفظه أي حاضره. (فيصل الأحمر).
- وبما بعد النص الروائي: بالتلقي/المستقبل (أمين العلواني المستقبلي)[25].

نجد أن فيصل الأحمر لامس كل تلك الحدود الزمنية من خلاله تضمينه لشخصيات تجسد هذا البعد الزمني ففيصل الأحمر يجسد الماضي القديم حسب الرواية، وأمين العلواني يترجم لحياة كاتب قديم مشكوك في قيمته الأدبية هو فيصل الأحمر[26]،أمين العلواني المستقبلي يشبه أمين العلواني الماضوي وهنا يسعى الروائي لشخصنة حدود الشخصية وتأطيرها ورصد علامات التشابه في شخصية أمين العلواني بين ضفتي الحاضر والماضي، ومنه نلامس ذلك الترابط الوثيق بين الشخصية والزمن، هاته العلاقة الجدلية لأنها نتاج التأثير والتأثر بين البنى السردية المشكلة للمتن الروائي، فالزمن محور و روح الرواية.

ويكمن توظيف الزمن وفق مفارقة جمالية في رواية أمين العلواني إلى السلاسة المطلقة لفيصل الأحمر في جمعه بين الماضي والحاضر والمستقبل وسفره بينها وذلك قصد الإيهام بتزامنية الأحداث، وهو ما يولد الحيرة والدهشة لدى المتلقي.

يعزز هذا الطرح ما ذهبت إليه مها القصراوي في قولها: " فنحن نعيش التسلسل الزمني الموضوعي، حيث الماضي ثم الحاضر ثم المستقبل، كذلك يمكن أن يعيش الإنسان في لحظة حاضرة آنية أزمنة عدة في الماضي والمستقبل، من خلال انفتاح الذاكرة والحلم"[27]، هذا ما يعزز فكرة أن بنية الزمن ومختلف تقنياته الموجودة في واقعنا والمصاحبة للحياة هي نفسها المنصهرة داخل نسيج الرواية وهنا تكمن بلاغة التخييل عند فيصل الأحمر في الربط بين الواقع والمتخيل فالزمن عنده ليس مجرد عملية زمنية وفقط بل هو ضرورة جمالية وفنية.

وعلى الرغم من أن رواية أمين العلواني رواية خيال علمي تحيل إلى الزمن المتقدم، إلا أن فيصل الأحمر جعل الزمن متعلق بشخصياته التي تستدعي منه الرجوع إلى الماضي أو توصيف الحاضر أو السفر للمستقبل.

3. تسريع السرد وسرد اليوميات:

ونحن نتكلم عن رواية أمين العلواني حريٌّ بنا الإشارة إلى التقنيات السردية وحضورها في المتن الروائي، هذا يصب في باب تجديد القوالب الروائية وإعطائها بعدا فنيا جديدا يلامس حضور الخيال العلمي، ويعطيها بعدا جديدا، ولعل من أبرز التقنيات الحضارة الخلاصة والتي جاءت عبارة عن تواريخ محددة تحيل إلى وقائع وأحداث مرتبة ترتيبا زمانيا:

2035/07/03: أحاول أن أحتفظ بالأفكار الطاهرة إلا أنها سريعة التبخر.

2035/07/07: رانيا أجمل من كل شيء...سأحبها حتى أكرهها وآنذاك أتوب... غفرانك اللهم.

2035/07/19: رانيا...الله...الله...رانيا...ألا تكون هي الشيطان...أنها لا تصلي، وتقول ان عائلتها لا تصلي، وأنها لا تنتبه إلى أنها لا تفعل ذلك...أليس هذا هو الشيطان؟...[28]

فقد ركز العلواني على ذكر التواريخ بدقة انطلاقا من اليوم والشهر والسنة، وهاته التواريخ مُضمنة بملخص يحيل إلى حدث أو واقعة أو فكرة تجسد العلواني وعوالمه.

وبما أننا في سياق تقنية تسريع السرد لم تخلو الرواية من تقنية الحذف وتجاوز بعض الأحداث، وقد حضرت هاته التقنية في صورة: "وظل العلواني متقلبا في قراراته مع كل شهر ومع كل سنة أنه سيصبح شخصا آخر يرضى عنه"...[29]، "قرر أمين العلواني أن يبدأ حياته الأدبية في الخامسة والعشرين وافتتح نشاط موقعه يوم 10 جانفي 2042م"[30]. فهنا السارد حاول ان يذكر مؤشرات تحيل إلى حدث معين وحذف التفاصيل التي سبقت الحدث أو أحاطت به وسايرته، وكأني به يعطينا النتائج دون ذكر المعطيات والمقتضيات، وهذا كله حضور جمالي للروائي من خلال ما وظفه من آليات وتقنيات ساهمت في تسريع السرد و شد القارئ نحو خبايا الرواية لمحاولة فك رموزها والولوج إلى عوالمها والإحاطة بحدودها، وهذا لا يتأتى إلا بجمع وربط الأفكار واستنطاق الرواية لكي تبوح بكل أسرارها وما يعتريها من غموض.

ومنه يتضح أن رواية الخيال العلمي تقع بأكملها داخل حدود رواية "الجنس الأدبي"، وأحياناً يُستخدم مصطلح الخيال التأملي من أجل وصف الروايات المفارقة لتقاليد رواية الواقع. من أجل وصف هذه النصوص المفارقة للواقع، والتي تتجاوز حدود الممكن والمحتمل.

والمتتبع لمسار السرد في رواية أمين العلواني يلامس ذلك الحضور والتوازي بين القصة والحكاية الذي ينتج تلك المفارقات الزمنية وفق تراسل وترتيب يزيد من جمالية الرواية.

خاتمة

من جملة ما نستنتجه من خلال هاته الورقة البحثية أن تيمة الخيال العلمي وتجلياتها في رواية أمين العلواني تجربة مرجعها خارج ذاتها عبرت عن بعد فلسفي عبرت عنه مجموعة القضايا المنصهرة في المتن الروائي ونستطيع أن نعدد هاته التجربة في النقاط التالية:

- انطلقت تجربة الروائي من السرد بالخيال الواقعي الذي جسدته شخصية "فيصل الأحمر" السيرية، وصولا إلى خيال مستقبلي استشرافي عبرت عنه شخصية "أمين العلواني" الروائية.

- نلمس في الرواية الأسلوب البسيط البعيد عن التكلف البلاغي ، والوصف الدقيق المحكم ، والزمان والمكان المحددين بدقة ، والشخصية الروائية المشبعة بالتجربة الإنسانية والمعبرة عن الذات الفردية.

- تعد تيمة وبنية الزمن الغالبة على المشهد السردي للرواية لتشكل بذلك مفارقة زمنية تتجاوز المحدود مع تعالق جمالي موجّه يلتبس شخصيات الرواية ويحيل إلى الثالوث الزمني (الماضي، الحاضر، المستقبل).

- نلمس حضور العديد من التقنيات الزمنية في صورة (الاستباق، الاسترجاع، الحذف، الخلاصة ...)، مما يعزز فكرة حضور تيمة الزمن وسطوتها على الرواية بل تعد المحرك الأساسي المشهد السردي وسيرورته.

- تجسد الرواية بعدا آخر يسافر بنا عبر عوالم الزمن، وهنا نلمس جِدّة وشساعة رواية الخيال العلمي في بعدها السردي الذي يبقى مفتوحا على مزيد من القراءات الجديدة.

الهوامش

[1] جون جريفيس، ثلاث رؤى للمستقبل أدب الحيال العلمي الأمريكي والبريطاني و الروسي(السوفياتي)، ترجمة: رؤوف وصفي العدد:793، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى 2005، ص 07.

[2] المرجع نفسه، ص .08.

[3] روائي فرنسي، وشاعر وكاتب مسرحي اشتهر بروايات المغامرة وله الأثر العميق في أدب الخيال العلمي، وصف كثيرا بكاتب أدب الخيال العلمي، من أشهر أعماله رواية رحلة إلى مركز الأرض، و عشرون ألف فرسخ تحت الماء، و حول العالم في ثمانين يوما.

[4] روائي وكاتب قصص بريطاني، يعتبر من مؤسسي أدب الخيال العلمي، وقد اكتسب شهرته بفضل رواياته التي تنتمي لذاك النوع الأدبي. بعكس معاصره جول فيرن فقد حوت روايات ويلز انتقادات اجتماعية هادفة ولم يكتف بسرد المغامرات، من أشهر أعماله آلة الزمن، الرجل الخفي، جزيرة الدكتور مورو، حرب العوالم وأوائل الرجال على القمر.

[5] جان غاتينيو: أدب الخيال العلمي، تر: ميشيل خوري، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، الطبعة الاولى 1990، ص 24.

[6] المرجع نفسه، ص 24.

[7] جون جريفيس، ثلاث رؤى للمستقبل، مرجع سابق، ص 51.

[8] برنار فاليت، الرواية مدخل الى المناهج والتقنيات المعاصرة للتحليل الأدبي، تر: عبد الحميد بورايو، دار الحكمة، الجزائر، السداسي الأول 2002، ص 15.

[9] محمد عزام، الخيال العلمي في الأدب، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى 1994، ص 13.

[10] يوسف الشاروني، الخيال العلمي في الأدب العربي (حتى نهاية القرن العشرين)،مهرجان القراءة للجميع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2002، ص 140،139.

[11] سمير الديوب، مقال الرؤيا في رواية الخيال العلمي، مجلة قراءات للبحوث والدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، العدد 05، جوان 2015، ص 125.

[12] ينظر محمد العبد، الخيال العلمي استراتيجية سردية، مجلة فصول، مصر، المجلد 71،العدد 12، ص 29.

[13] فيصل الأحمر: رواية(أمين العلواني)، كلاما للنشر والتوزيع، قالمة، الجزائر، الطبعة الرابعة 2020، ص 06.05.

[14] فيصل الأحمر: رواية(أمين العلواني) ، ص 07.

[15] فيصل الأحمر: رواية أمين العلواني ،ص 07.

[16] فيليب لوجون عُرف منذ السبعينات بكتابه المؤسّس (أدب السّيرة الذّاتية في فرنسا) الّذي اجترح فيه تعريفه الشّهير للسّيرة الذّاتية بوصفها "المحكي الاسترجاعي النثري الّذي يقوم به شخص واقعي لوجوده الخاص، عندما يركّز على حياته الفردية وعلى تاريخ شخصيته بصفة خاصة.

[17] فيصل الأحمر: رواية أمين العلواني، ص 05.

[18] فيصل الأحمر: رواية أمين العلواني ، ص 15.

[19] فيصل الأحمر: رواية أمين العلواني ، ص 07.

[20] صاحب نظرية النقد الأدبي التي طورها فيما بعد إلى تشريح النقد سنة 1957م، هاته النظرية تعتبر مجالا مترابطا للدراسة والذي يدرب الخيال بشكل منهجي فعّال، ويعد هذا العمل أحد أهم أعمال النظرية الأدبية التي نشرت في القرن العشرين. وامتدت مساهمات فراي في النقد الثقافي والاجتماعي إلى مسيرة مهنية طويلة.

[21] والاس مارتن: نظريات السرد الحديثة، ترجمة : حياة جاسم محمد، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة القاهرة 1998 ،ص 41.

[22] فيصل الأحمر: رواية أمين العلواني، ص 05.

[23] فيصل الأحمر: رواية أمين العلواني، ص 07.

24 ينظر: حسين علام، العجائبي في الأدب من منظور شعرية السرد، منشورات الإختلاف، الجزائر، الطبعة الأولى، 2010، ص188.

[25] ينظر: عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1988، ص 225.

[26] فيصل الأحمر: رواية أمين العلواني، ص 07.

[27] مها حسن القصراوي: الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص143.

[28] فيصل الأحمر: رواية أمين العلواني، ص 27.

[29] فيصل الأحمر: أمين العلواني، ص 29.

[30] فيصل الأحمر: أمين العلواني، ص 30.

قائمة المصادر والمراجع:

1. جون جريفيس، ثلاث رؤى للمستقبل أدب الخيال العلمي الأمريكي والبريطاني و الروسي(السوفياتي)، ترجمة: رؤوف وصفي ، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى 2005.
2. جان غاتينيو: أدب الخيال العلمي، تر: ميشيل خوري، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، الطبعة الاولى 1990.
3. برنار فاليت، الرواية مدخل الى المناهج والتقنيات المعاصرة للتحليل الأدبي، تر: عبد الحميد بورايو، دار الحكمة، الجزائر، السداسي الأول 2002.
4. محمد عزام، الخيال العلمي في الأدب، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى 1994.
5. يوسف الشاروني، الخيال العلمي في الأدب العربي (حتى نهاية القرن العشرين)، مهرجان القراءة للجميع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2002.
6. سمير الديوب، مقال الرؤيا في رواية الخيال العلمي، مجلة قراءات للبحوث والدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، العدد 05، جوان 2015.
7. ينظر محمد العبد، الخيال العلمي استراتيجية سردية، مجلة فصول، مصر، المجلد 71،العدد 12، 2007.
8. فيصل الأحمر: أمين العلواني(رواية)، كلاما للنشر والتوزيع، قالمة، الجزائر الطبعة الرابعة 2020.

9. والاس مارتن . نظريات السرد الحديثة . ترجمة : حياة جاسم محمد . المجلس الأعلى للثقافة ، المشروع القومي للترجمة القاهرة 1998 .
10. حسين علام، العجائبي في الأدب من منظور شعرية السرد، منشورات الإختلاف، الجزائر، الطبعة الأولى، 2010.
11. عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1988.
12. مها حسن القصراوي: الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2004.